

جذور وأصول الفكر الإيقاعي (4)

مقتطفات: من كتاب "رباعيات..و.. رباعيات"

نواصل اليوم مع رباعيات الخيام

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD100617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/10
السنة العاشرة - العدد: 3570



المقدمة

أمس الجمعة ، الرابع عشر من رمضان سلّمت المطبعة أربعة كتب معا للنشر الورقي بعد أن راجعتها، وحدثت ما لزم فيها وهي "رباعيات، و، رباعيات،" & "تداعيات يحيى الرخاوي" (تجريب إيداعى)، و"لمحة الرحيل والعود" (الجزء الثالث من ثلاثية المشى على الصراط)، و"أغوار النفس" (الديوان بالعامية أساس العمل الجواهر الثاني الذى نشر تفسيره

تباعا بعنوان **فقه العلاقات البشرية** فى هذه النشرات) من نشرة 10-6-2009 (إلى) نشرة 15-9-2010.

لن أمل من تكرار أننى مازلت أفاجأ بهذا التّأصيل التّقائى فى كتاباتى القديمة البعيدة عن ما يسمى العلم التقليدى، أو الطبفسى السائد Mainstream Psychiatry ، وبالذات فى كتاباتى النقدية، وأننى أفاجأ أكثر فأكثر بأنها تصب فى نفس المصب، وهى تتوجه إلى نفس التوجه. لعل فى هذا ما يؤكد لى موقفى من فضل اجتهاداتى النقدية فى كل المجالات على فكرى ممارسا للطب، وطالبا للمعرفة.

سوف أواصل ممارسة الاقتطاف من هذا الفكر السابق لدعم موقفى المعرفى والوجودى من قضيتى مع الفطرة ومهنتى التى أصبحت أجزها بأنها حرفة الإسهام الإبداعى والفنى والعلمى للتعرف على طبيعة، وتنقية، ما يسمى "الفطرة البشرية"، كما خلقها بارؤها إلى ما خلقها له، ثم تصحيح ما انحرفت إليه بتعديل المسار بفن الطب وغيره، بديلا عن تخميد الحركة بغير الكيمياء عشوائيا على طول الخط، وهذا هو الطبفسى الإيقاعى التطورى.

نواصل اليوم مع ما بدأناه الأسبوع الماضى مع الكتاب الأول "رباعيات ورباعيات:"

مع عمر الخيام

بعد صحبتنا لصلاح جاهين نجد أنفسنا اليوم ونحن مع عمر الخيام، وأستطيع أن أوجز وجهة النظر الأخرى الواجب توضيحها وهى ما وصلت إليه من خلال النقد الذى قمت به فيما يخص الطبفسى الإيقاعى التطورى: وهو أن تعرفى المتأنى على الخيام من رباعياته قد أكد لى أن الوجود البشرى الحقيقى له مقاييس أخرى غير المطروحة فى السوق المعاصرة ، بما فى ذلك السوق النفسية، وأن وسواس السعى إلى تحقيق الرفاهية واللذة خالصتين هو ضد الطبيعة البشرية، وأن الله امتحننا بحمل الأمانة وما أثقلها، وعلينا أن نحترم كل ما يعنيه ذلك، ونفرح به، ونظل نأمل فى عفو، وعونه، ونحن نحمل مشقته.

المقتطف (1) [الفرض:

مهنتى التى أصبحت أجزها بأنها حرفة الإسهام الإبداعى والفنى والعلمى للتعرف على طبيعة، وتنقية، ما يسمى "الفطرة البشرية"، كما خلقها بارؤها إلى ما خلقها له، ثم تصحيح ما انحرفت إليه بتعديل المسار بفن الطب وغيره، بديلا عن تخميد الحركة بغير الكيمياء عشوائيا على طول الخط، وهذا هو الطبفسى الإيقاعى التطورى

أن الوجود البشرى الحقيقى له مقاييس أخرى غير المطروحة فى السوق المعاصرة ، بما فى ذلك السوق النفسية

أن وسواس السعى إلى تحقيق الرفاهية واللذة خالصتين هو ضد الطبيعة البشرية

أن الله امتحننا بحمل الأمانة وما أثقلها، وعلينا أن نحترم كل ما يعنيه ذلك، ونفرح به، ونظل نأمل فى عفو، وعونه،

ونحن نعمل مشتمته

الموضوع الحقيقي الذي يمثل صعوبة وجدل الوجود البشري إذ يتطلب تحملا ومثابرة، فإنه أكبر من احتمال المتسرعي النكوصي، فلا بد من الإسراع إلى إغاثة بالانسحاب اللوح بعيدا عن عمل علاقة حقيقية، وذلك بالتثبيت على الموقف الذاتوي المنغلق الساكن، وهو ما يسمى بموقف "اللاموضوع"، أو الموقف الشيزيدي

الدراسة البنّدية التي تمت بها جعلتني أكثر هذه الخدمة المسامة "اللذة"، (والتي لها أسماء تدليل بحرية مثل "السعادة"، أو "الرفاهية" أو حتى "الحرية" (الساكنة) أحيانا، أظهرت لي هذه الدراسة جرعة الألم الرائع المربع الذي يكمن وراء هذا السعي اللوح نحو اللذة

إن الدعوة إلى اللذة لا تعلن أن صاحبها يعرفها أو يعايشها بالضرورة، ولكننا قد نعلن أنه يتمناها ويرجوها

جاء حديث النفس إما تبريرا للذة، وإما استغفارا لذنب، وإما إعلانا لجزن، وإما تمللا من حيرة، وكان "الألم" من هذه المواجهة كان أكبر من السماح بمواجهتها أو اختراقها، كما أن "الخوف

وضعتُ فرضا شاملا لقراءة رباعيات الخيام يقول (على لسانه:)

“إني أتقلب على جمر الألم، واليقين أقرب إلى المستحيل، الحيرة مؤلمة شريفة، والموت ذو وجه قبيح، ولكنه حقيقة راسخة، والخمر غسيل الروح، وما دام الأمر كذلك، فاللذة واجبة إذا كان عندكم، يا خلق الله: نظر، فافعلوا ما لم أستطع، والله غفور رحيم على الرغم من أنف الكاس والطاس والكُهَّان، والوصاة جميعا”

هذه الرباعيات أعلنت لي أن “جرعة الأمان الأولى” عند الخيام كانت ناقصة منذ البداية (بداية النمو)، فأصبح ذلك دافعا ملح التعويض واعد باللذة والراحة، كما ظهر في شكل هرب متواصل، تجنبنا لألم مواجهة الواقع، مما ألهب السعي المستمر إلى الاستزادة من اللذة (الأمان)؛ فنتجلى من خلال هذا وذلك مظاهر ذلك الجوع الملح إلى طلب أمان اعتمادي نكوصي جاهز، يسمى أحيانا “الحب”، وهو يتجلى في مظاهر الجوع العاطفي في صورته المختلفة، كما يتبدى في صور أخرى معاصرة مختلفة، لكنها في النهاية لا تحقق إلا أنواعا من الهرب بالتسكين المتاح غالبا، وهذا يستدعي عادة، غلبة الميل إلى “إلغاء الموضوع”، اللهم إلا في صورته الظاهرة المنضبطة الورقية الشكلية، أما الموضوع الحقيقي الذي يمثل صعوبة وجدل الوجود البشري إذ يتطلب تحملا ومثابرة، فإنه أكبر من احتمال المتسرعي النكوصي، فلا بد من الإسراع إلى إغاثة بالانسحاب اللوح بعيدا عن عمل علاقة حقيقية، وذلك بالتثبيت على الموقف الذاتوي المنغلق الساكن، وهو ما يسمى بموقف “اللاموضوع”، أو الموقف الشيزيدي، لكن الخيام قد زين هذا الموقف بكل وسائل التجميل والتزييق، وهو يعلم في قرارة نفسه، ويقر في صلب رباعياته، بأنه عَجَزٌ، وعاجزٌ، عن تسويغ ذلك بما يبهر وجوده الأرقى، ويُرضى بشريته، المتوجهة به، وبالرغم منه، إلى خالقه الذي لم يخلقنا لنلتذ، وإنما لتتناسق مع دوائنا ودوائر كونه إليه ونحن نعلمها معا.

المقتطف (2)

نار الألم وأمل الغيبوبة

هكذا يبدو أن الخيام (كما بدا في رباعياته على الأقل) لم يجرع من كأس الأمان الأولى، ما طمأنه إلى قدرته على الاستمرار في جدل الأخذ والعطاء، وفي الوقت ذاته، لم يلجأ إلى سيف التوجس العدوانى كبديل يعلن به حرمانه؛ (مثلما فعل نجيب سرور: أنظر بعد)، فظل يلح في محاولة “الرجوع” لإعادة الكرة وأخذ حقه مما أسماه وصوره على أنه “اللذة”، فلم يستطع دائما (أو: لم يستطع أصلا)، فراح يدعونا إلى ذلك بالنيابة، ثم تحمس حتى كاد يرى أن اللذة هي الترياق والحل، مع أنه لم يتردد في إعلان فشل هذا الحل أولا بأول.

يقف الخيام وهو يمسك بكأس الخمر كأنه مصنوع من جمجمة الشاة، وساق الفقير معا، وهو يطلب أن يرتوى من اللذة (بالخمر) قبل أن يحل أجله.

1- رأيت خزافا رجاه تدور

يجد في صوغ دنان الخمر

كأنه يخط في طينها

جمجمة الشاة بساق الفقير.

أفق وهات الكأس أنعم بها

واكشف خفايا النفس من حجبها

وروا أوصالي بها قبلما

يصاغ دن الخمر من تربها

التعقيب:

الدراسة النقدية التي قمت بها جعلتني أكتشف أكثر فأكثر هذه الخدعة المسامة "اللذة"، (والتي لها أسماء تدليل عصرية مثل "السعادة"، أو "الرفاهية" أو حتى "الحرية" (السائبة) أحيانا، أظهرت لي هذه الدراسة جرعة الألم الرائع المريع الذى يكمن وراء هذا السعى للوح نحو اللذة ، وقد كتبت فى نفس الدراسة ما يبين ذلك قائلًا:

المقتطف (3)

يقف الخيام على منبره "البار" المصنوع من شوك الألم، وخالصة الأحزان ليخطب فى الناس ألا يضيعوا وقتهم فى الحصول على ما هو زائل، بل هو يكاد ينصحهم ألا يتألموا أصلا (إن أمكن). فإن فعلوا أو هُدُّوا، فليشربوا لينسوا، وليشربوا ليفيقوا، وليشربوا لينطلقوا، وهنا يجدر بنا أن نلاحظ ابتداءً:

أولاً: إن الدعوة إلى اللذة لا تعلن أن صاحبها يعرفها أو يعايشها بالضرورة، ولكنها قد تعلن أنه يتمناها ويرجوها، وتكرار مثل هذه الدعوة كما هى الحال فى رباعيات الخيام؛ قد يؤكد أن هذه الأمنية لم تتحقق، وربما لن تتحقق له (على الرغم من فرط اشتياقه لها)

ثانياً: إن الخيام لم يدع نفسه إلى اللذة بقدر ما دعا الناس إليها فى شكل الواعظ النديم، وكأنه يئس - شخصياً- من الحصول عليها، فأمل أن يتعظ غيره من عجزه عن التمتع بها؛ ربما نتيجة لفرط حزنه وتراكم آلامه، بل إن دعوته لنفسه بدت لى وكأنها - أساساً- دعوة لنا دون نفسه.

ثالثاً: نظراً إلى أن الخيام لم يخاطب نفسه بقدر ما خاطبنا نحن، فهو لم يعلن أبعاد وعمق داخله (مثل جاهين)، وإنما راح يعلن استقباله للواقع كما يبدو فى الخارج أساساً، كذلك هو لم يحم ذاته وصورتها بالاستغراق فى الفخر بها (مثل سرور)، فجاء حديث النفس إما تبريراً للذة، وإما استغفارا لذنب، وإما إعلاناً لحزن، وإما تمللاً من حيرة، وكأن "الألم" من هذه المواجهة كان أكبر من السماح بمواجهتها أو اختراقها، كما أن "الخوف من الألم" كان أضخم من السماح بالفخر بالذات.

رابعاً: إن الخيام كان يسابق الزمن، وبالذات يسابق الموت، فهو يريد أن يعبَّ قدر ما يستطيع، مما يتصور أنه يستطيعه، قبل فوات الأوان:

1- إشرِبْ فهذا اليوم إن أدبرتْ

به الليلَى لم يُعِدِّه القدر.

(30/48)

2- الموت حق لست أخشى الردى

وإنما أخشى فوات الأوان.

(102/72)

خامساً: إن الدافع الآخر بعد الهرب من الألم لدعوته إلى النهل من نهر اللذة هو الجهل (الشريف) بالمصير، فما دمنا لا نعرف، فلننهل مما نعرف من هنا تضخمت عنده قيمة "الهنا والآن" النرجسية، (عكس "هنا والآن" الموضوعية) بما يفيد اللذة الأضمن

المقتطف (4)

فرط الألم، والخوف من زيادته

...الملاحظ فى رباعيات الخيام، أنها تكاد تعلن أن فرط الألم، والخوف منه، هما نتيجة مباشرة لنقص جرعة الأمان الأساسية، كما نلاحظ أن أياً من طلب اللذة أو الدعوة إليها، يبدو باعتباره التصور النابع من هذا الافتراض المبدئى، وأحسب أن انتشار هذه الرباعيات على مساحة العالم، وكذا خلودها طول هذا الزمن إنما يرجع جزئياً إلى احتمال غلبة هذا الموقف الدفاعى الذاتوى المعاصر الذى يبرر

من الألم" كان أضخم من السماح بالفخر بالذات

إن الخيام كان يسابق الزمن، وبالذات يسابق الموت، فهو يريد أن يعبَّ قدر ما يستطيع، مما يتصور أنه يستطيعه، قبل فوات الأوان

إن الدافع الآخر بعد الهرب من الألم لدعوته إلى النهل من نهر اللذة هو الجهل (الشريف) بالمصير، فما دمنا لا نعرف، فلننهل مما نعرف من هنا تضخمت عنده قيمة "الهنا والآن" النرجسية، (عكس "هنا والآن" الموضوعية) بما يفيد اللذة الأضمن

أن فرط الألم، والخوف منه، هما نتيجة مباشرة لنقص جرعة الأمان الأساسية

ألم الخيام وحزنه هما الأساس، بل إننا نكاد ندرك أنهما الأساس والفروع جميعاً على الرغم من دعوته المتكررة إلى عكس ذلك.

الطبيبفسى الإيقاعحيوى لا يقدر اللذة، ولا يلوح بالرفاهية، بل إنه يؤكد المرة تلو المرة بأن الحياة السوية هى التى تعرفه قيمة الألم كدافع للتطور، وتعايش قيمة الفلق كطبيعة للوجود ، وهذا هو السبيل إلى شرفه الرؤية التى تكرمنا بشراً. فنواصل السعى إلى المصير

ونحن نستلهم المنبع

إن الذي يقتطفه من الخيام
موقفه من اللذة ويركز على
تمجيده للشرب والقصف،
يكاد لا يعرفه

أن ما شاع عنه على هذا
الجانب (جانب اللذة) في
المجتمع المعاصر جدا، هو
رؤية جزئية تساير بعض
الجوانب الهرابية في الثقافة
المغتربة التي نحرص على
استيرادها سابقة التجهيز
والتفسير؟.

موقفه الخيام من الله سبحانه
هو موقفه المؤمن الراجي
المعائب الساعى إليه، وهذا
جزء جوهرى على مسار
التطور عامة

الهرب المؤقت، والنكوص الأمل عند معظم الناس كما ساد في الحياة المعاصرة المغتربة.

المتجول في بستان الخيام، بعنقه وحصرمه، إن صدقت المحاولة، وأحسن صحبته ولم يكتف بظاهر
قوله، سوف يضرس من حصرمه المرّ، قبل أن ينتشى من عصير عنبه المُحْمَرّ، فألم الخيام وحزنه
هما الأساس، بل إننا نكاد ندرك أنهما الأساس والفروع جميعا على الرغم من دعوته المتكررة إلى
عكس ذلك.

1- ... ولم أصب في العيش إلا الشقاء
(2/35)

2- ... ولم أدق في العيش طعم الهناء
(48/54)

وبعد

الطبنفسى الإيقاعى لا يقدر اللذة، ولا يلوح بالفاهية، بل إنه يؤكد المرة تلو المرة بأن الحياة
السوية هي التي تعرف قيمة الأمل كدافع للتطور، وتعايش قيمة القلق كطبيعة للوجود، وهذا هو السبيل
إلى شرف الرؤية التي تكرمنا بشراء، فنواصل السعى إلى المصعب ونحن نستلهم المنبع، الذي يدقق في
رباعيات الخيام سوف يكتشف أنه عرف ويعرف الأمل بجرعات تكاد تغلب على تصفيقه للذة والدعوة
لها، إن الذي يقتطف من الخيام موقفه من اللذة ويركز على تمجيده للشرب والقصف، يكاد لا يعرفه،
واعتقد أن ما شاع عنه على هذا الجانب (جانب اللذة) في المجتمع المعاصر جدا، هو رؤية جزئية
تساير بعض الجوانب الهرابية في الثقافة المغتربة التي نحرص على استيرادها سابقة التجهيز
والتفسير؟.

موقف الخيام من الله سبحانه هو موقف المؤمن الراجي المعائب الساعى إليه، وهذا جزء جوهرى
على مسار التطور عامة، لا يمكن لمبدع حقيقى أن يقلت من مواجهته، وهو بعض أصول وجذور
الفكر الذى يقدمه الطبنفسى الإيقاعى التطورى
وهو بعض ما سوف نكمل فيه غدا وبعد غد مع الخيام أيضا (غالبا)

*** **

المعجم "النفسانى" في العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية في علوم وطب النفس

المعداد نخبة من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم "النفسانى" على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

دليل المعجم "النفسانى" (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم "النفسانى" على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات الحرفه الاول من "الموسج" العربي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات الحرفه الاول من "الموسج" الانكليزي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات الحرفه الاول من "الموسج" الفرنسي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم "النفسانى" على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-204277553287741/>